ما هو القلب؟

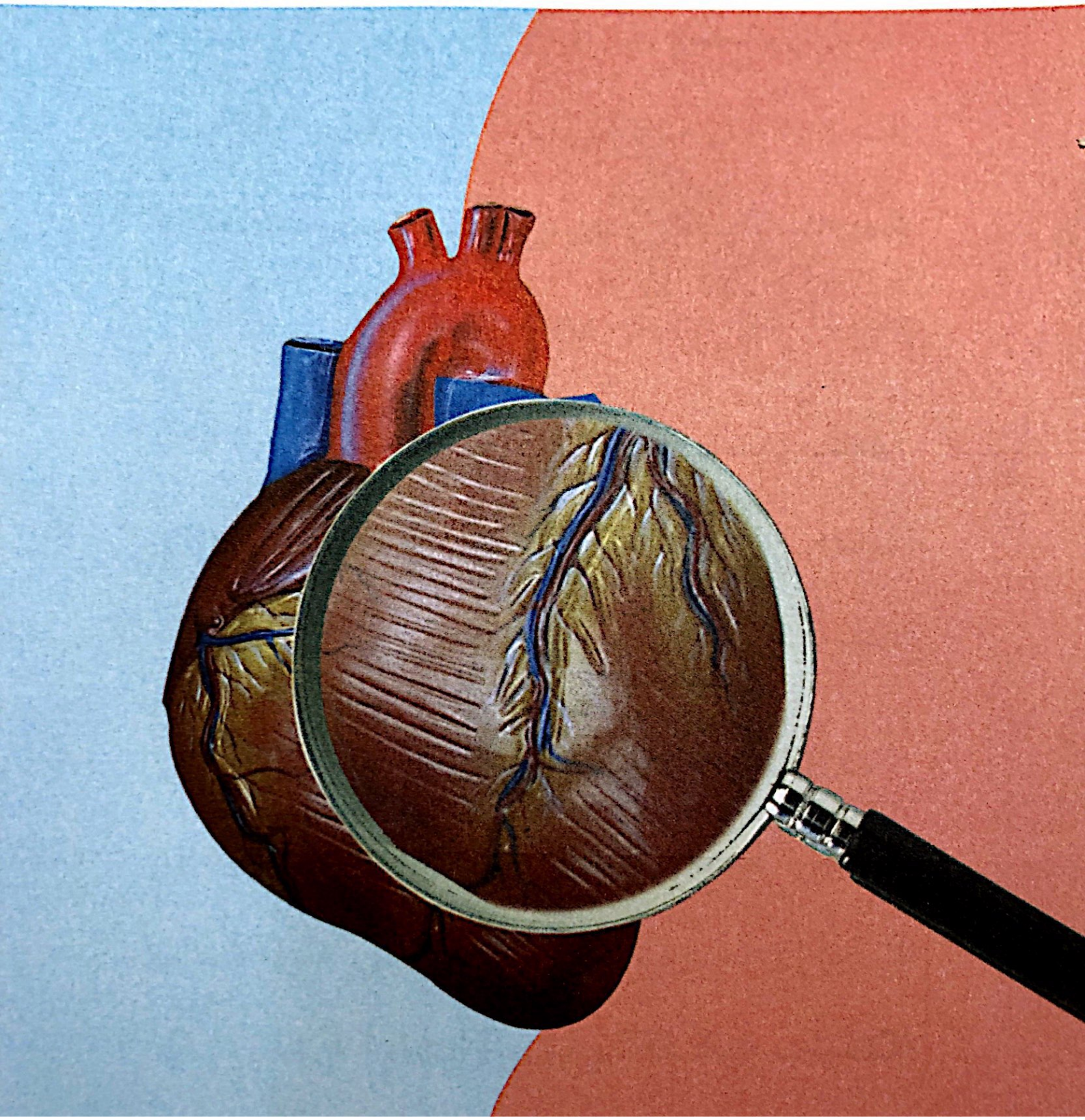

Scanned with CamScanner

فعندما يقال قَلَبَ الشيء قلباً أي جعل أعلاه أسفله ، أو يمينه شماله ، ويقال قلَّب الأمر أي اختبره .

أما الفعل قلّب بتشديد اللام فيعني أكثر قلبه ، والفعل أنقلب بمعنى رجع، وانصرف وتقلب في الأمور أي تصرف كيف شاء ،تأمل قوله تعالى **(تتقلب فيه القلوب والأبصار)** ﴿ النور : أية ٣٧﴾ قال الزجَّاج أن معنى الآية السابقة أي

Scanned with CamScanner

ترجف وتزحف من الجزع والخوف .

ويطلق لفظ القلب على أحد المعنيين ..

الأول: ذلك العضو العضلي الأجوف في الصدر الذي لا يجاوز حجمه قبضة اليد الواحدة، والذي أكتشف الأطباء أن دوره ضخ الدم المنقى لجميع أجزاء الجسم حاملاً معه الغذاء والأكسجين اللازمين لاستمرار الحياة (أنظر باب أمراض القلب).

الثاني: ذاك الجهاز الإدراكي المعرفي بالغ التعقيد، الذي له وظائف متشعبة ومتعددة ومتداخلة إلى حد بعيد جداً

Scanned with CamScanner

كما أن له خصائص انفرد بها ولم يشاركه فيها أي من الملكات الأخرى وهذا المعنى الذي يخاطبه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على أساس أنه هو:

١) أداة الإدراك والمعرفة والعلم.

٢) موقع الإيمان وما يتصل به من عاطفة ووجدان و إرادة و للإمام أبي حامد الغزالي - رحمه الله - في كتابه (إحياء علوم الدين) قول عن المعنى الثاني (هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة

Scanned with CamScanner

كما أن له خصائص انفرد بها ولم يشاركه فيها أي من الملكات الأخرى وهذا المعنى الذي يخاطبه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على أساس أنه هو:

١) أداة الإدراك والمعرفة والعلم.

٢) موقع الإيمان وما يتصل به من عاطفة ووجدان و إرادة و للإمام أبي حامد الغزالي - رحمه الله - في كتابه (إحياء علوم الدين) قول عن المعنى الثاني (هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة

Scanned with CamScanner

الإنسان ، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب ، والمعاقب، والمعاتب، والمطالب، ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته).

ولكن أي المعنيين هو المخاطب في القرآن والسنة النبوية؟ ويجيب على هذا التساؤل الدكتور محمد الشرقاوي في كتابه بيان مدلول القلب في القرآن الكريم (ومما تجدر الإشارة إليه أن كلمة قلب وبالرغم من أنها ذكرت في القرآن الكريم ١٢٦ إلا أنه لم يقصد بها الدلالة على القلب بمعناه التشريحي الطبي).

Scanned with CamScanner

ولعل المتمعن في هذه الآية الكريمة ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أظل أولئك هم الغافلون**﴾ (الأعراف١٧٩) يدرك ما عناه الدكتور الشرقاوي في ما ذكره، فنرى في هذه الآية الكريمة حاله الشلل التام التي تصيب الحواس عدد منها فقدان القلب قدرته الإدراكية وبهذا ينحدر إلى مستوى الأنعام أو ربما أقل[١] .

وكذلك قوله تعالى ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ (الرعد ٢٨) فالمتأمل لهذه الآية يستنتج

---

١ ـ القلب في القرآن الكريم (د.أحمد عبدالرحمن)

Scanned with CamScanner

أن القلب هو محل الهداية أو الظلال فإمَّا للخير أو للشر .

ولعلك تلاحظ أن لفظا القلب والقلوب ذُكرتا في آيات عديدة في القرآن الكريم، وأسندت إلي القلب في تلك الآيات أمور كثيرة كالإثم والاطمئنان والغفلة والمرض والختم والهداية والرعب الزيغ والتعقل والعمى والتقلب والكظم والطبع والحسرة إلى غير ذلك من الأمور التي أُنيطت بالقلب.

فذكر أهل اللغة للقلب معانٍ أخرى أو مترادفات كالعقل واللب والفؤاد (عن مختار الصحاح) ، ووسط الشيء ولبه وخالص الشيء (عن المعجم الوسيط) ورد في لسان العرب أن القلب هو نفس الشيء

Scanned with CamScanner

وحقيقته. وإذا غفل العاقل عن الحق فإن الذنوب إذا تكاثرت طُبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين قال تعالى **﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾** (المطففين ١٤) فالقلب يصدأ من المعصية فإذا زادت غلب الصدأ فيصير القلب في غشاوة وغلاف عن الحق والهدى[١]

فالذنوب تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فإن تأثير الذنوب في القلب كتأثير الأمراض في الأبدان، وهل النعيم إلا نعيم القلب، وهل العذاب إلا عذاب القلب، وأي عذاب أشد من

---

١ ـ الداء والدواء (لابن القيم الجوزيه ص ٧٢)

Scanned with CamScanner

الخوف والهم والحزن وضيق الصدر .

وللقلب أحوال حتى في البكاء فهناك فرق بين بكاء السرور والفرح ، وبكاء الحزن وحتى للنفاق بكاء وهو أن تدمع العين والقلب قاسٍ فيظهر صاحبه الخشوع وهو أقسى الناس قلباً وهناك بكاء محمود أنه يستجلب رقه القلب لخشية الله لا رياءً وسمعه .

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال:

((تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون) متفق عليه .

كما سبق وذكرنا أن للعقل درجات فأيضاً للقلب

Scanned with CamScanner

مراتب في الحب وأول مراتبه العلاقة وسميت العلاقة لتعلق المحب بالمحبوب ، ومن ثم بعدها الصبابة وسميت كذلك لأنها انصباب القلب إلى المحبوب ، ثم الغرام وهو لزوم الحب للقلب لزوماً لا ينفك عنه ، وقد ولع المتأخرون باستعمال هذا اللفظ في الحب ، وقل أن تجده في أشعار العرب القديمة، ثم العشق وهو إفراط المحبة ثم الشوق وهو سفر القلب إلى المحبوب أحثّ السفر[1] . ومما أشار إليه الدكتور عبد الناصر كعدان عندما تناول موضوع العشق في مقالته "مرض العشق في التراث الطبي العربي الإسلامي" حيث أورد (أن العشق هو شكل مفرط من أشكال المحبة فبينما نجد المحبة أسمى

---

١ ـ الداء والدواء (لابن القيم الجوزيه ص ٧٢)

Scanned with CamScanner

عاطفة يتحلى بها الإنسان أما العشق فيعد حالة مرضيه حدثت نتيجة المغالاة الشديدة في الحب مما ينعكس بأثر سلبية على شخصية العاشق على شكل اضطرابات جسدية وسلوكية) ولنا في ما روي لنا من قصص مجنون ليلى وقيس بن ذريح خير مثال . ومما ذكره الدكتور كعدان : (أن ابن هيل البغدادي تحدث عن آلية حدوث مرض العشق فقال: ﴿العشق مرض يعرض من إدامة الفكر في استحسان بعض أنواع الصور الحاصلة في الخيال وإدامة النظر فيها وتحريك النفس شوقاً إلى استحضار ما هي مثاله ، ويساعد على ذلك الحركات الشهوانية فيعرض من ذلك شيء من الجفاف واليبس المؤدي إلى السوداوية

Scanned with CamScanner

والكآبة﴾، في حين أن الأطباء المسلمين القدامى ، وعلى نحو مخالف للشعراء قد نظروا إلى العشق على انه حالة مرضية كغيره من الأمراض النفسية والعصبية له أسبابه وأعراضه وعلاجه).

Scanned with CamScanner